Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خبيثها ، وجعلها تئن بأثقالٍ لا قِبل لها بها ، ولا من مغيث ، وهي التي حملت معها كل ذلك ؟

والحق ، إنه ليمكنني أن أجد لكل فريق سبباً ، وأن ألتمس له عذراً . ولكنني إن اخترت أمراً عَواناً بين ذلك فلا يكون هذا حباً بمخالفة ما يحتمل وقوعه ، ولا جرياً وراء « خير الأمور أوسطها » ، على نزاهة قائله وعلو غايته ، ولكن لأنه هو الموقف الذي يجب أن يكون ، والذي يبعثه البحث وطبيعته .

فليس من الصواب أن ندعو الآن إلى (البديعيات) ، وأن نجعل منها مقياساً للشاعرية ، وذروة لا يبلغها إلا كل مقتدر ولا ينالها إلا كل صبور إذ لكل زمان مقاييسه وأهله وشعراؤه . فقد نشأت المنظومات العلمية مثلاً في فترة من فترات تراثنا ، وانتشرت بين الناس انتشاراً كبيراً ، وكادت تتحول العلوم كلها بقواعدها إلى منظومات وما يتفرع عنها[1] ، وحاكتها (البديعيات) من جانب ، ولكن هذه المنظومات لا تصلح اليوم لما صلحت له بالأمس ، لا جحداً لفضلها ، وإنكاراً لصنيعها في وقتها ، ولكن لعلمنا بأنفسنا وحياتنا وبيئتنا وما يتناسب معها .

و (البديعيات) هذا حالها ، لم تعد معياراً للشاعرية ، ومقياساً للأديب ، ولا وسيلة للشهرة ونيل الحظوة لدى الناس والسلطان فما حَمَلها في يوم ما إلى قلوب الخاصة والعامة قد لا نجده اليوم ، بل كاد يكون معدوماً . والأذواق التي قبلتها بالأمس ، ليست هي اليوم ، ولا غدا .

---

(١) ولعل سبب هذا الانتشار في تلك الفترة هو محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث العربي الإسلامي عن طريق نظمه في متون ومنظومات يسهل حفظها بعد أن اجتاحت الأخطار مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، ولم يبق سوى بلاد مصر والشام التي كانت تصد الضربات في مدى قرنين ، حتى أفلحت في التخلص من هذا الخطر الماحق . ولا ننسى الغاية التعليمية أيضاً التي تستخلص من مثل هذا العمل الشعري التعليمي .